الأفارقة وغارة جيمسون على جمهورية جنوب أفريقيا
(١٨٩٥ – ١٨٩٦)
دراسة وثائقيـة

د. السيد فليفـــل

مقـــدمة

كانت غارة جيمسون – مدير شركة جنوب افريقيا البريطانية فى روديسيا – التى شنها على جمهورية جنوب أفريقيا (الترنسفال) ، فى أواخر ايام عام ١٨٩٥ وأوائل ايام عام ١٨٩٦ ، حدثاً تاريخياً خطير العاقبة ، إذ تعكر بعدها صفو العلاقات بين بريطانيا ومستعمراتها فى المنطقة من ناحية ، وبين جمهوريتى البوير الترنسفال واورانج من ناحية ثانية . وكانت النتيجة الحتمية لذلك هى دخول الطرفين حرباً مدمرة هى حرب البوير فى الفترة الواقعة بين عامى ١٨٩٩ ، ١٩٠٢ .

وعلى الرغم من أن الدراسات التى عقدت حول الغارة شملت جوانب متعددة فإنها – على دسامتها – أغفلت دور الأفارقة ، ولم تكن لتعبأ إلا بطرفى الصراع فيها وهما : البوير والبريطانيون ؛ وكلاهما من المستوطنين البيض . وتلك نتيجة منطقية لسيطرة هؤلاء المستوطنين على مقدرات الأمور فى الجنوب الأفريقى سيطرة جعلتهم محور الحياة والصراعات والتحالفات والمناورات السياسية والاقتصادية . ولكن مع هذا فإن كل صراع بين عنصرى البيض فى المنطقة إنما كان يستهدف – فى المقام الأول – انفراد أحدهما بالسيادة على البلاد وشعوبها وقبائلها ، وبالتالى فإن هذه الشعوب كانت حاضرة بشكل أوآخر فى هذه الصراعات .

وتبتغى الدراسة التى تلى هذه السطور أن تبحث عن مواقف الأفارقة من هذه الغارة وكيف استجابوا لها . فالغارة – كحدث تاريخى وقع على

الترنسفال ـ كان لابد وان تؤثر على الأفارقة فى المحميات المحيطة بها ، لا سيما وقد تركزت فيها ثلاث قبائل كبرى هى : قبائل المتابيلى فى روديسيا فى شمال الترنسفال ؛ والسوازى إلى الشرق منها ؛ والبتشوانا فى محمية ومستعمرة بتشوانا لاند إلى الغرب منها ، وهى القبائل التى تركز عليها هذه الدراسة ، فى فترة اعتبر البيض أن السود قد دانوا لهم وخضعوا لسيطرتهم .

والباحث إذ يحاول رصد مواقف هذه القبائل من تلك الغارة ، مستقرئاً مجموعة كبيرة من وثائق وزارة المستعمرات البريطانية ، يؤكد حرصه على تكريس مزيد من الوقت والجهد لدراسة التاريخ الأفريقى من الداخل ، بعد طول عهد من الاكتفاء بدراسة الأوروبيين فى أفريقيا باعتباره المتاح الوحيد من تاريخ القارة . لقد طال أمد إغفالنا لتاريخ قارتنا الحقيقى ، حتى غابت شعوبها عن دراساتنا ، بسبب متابعتنا لنفس الخطوط البحثية والمنهجية التى أرساها لأنفسهم المؤرخون الأوروبيون ، الذين باتوا يعترفون اليوم بأنهم نسوا الوجود الأفريقى فى دراساتهم . ولئن جاز لهم أن يفعلوا فليس لنا نحن المؤرخين الأفارقة عذر يقبل . وقد عزم الباحث على أن يتعهد مثل هذه الدراسات بالاهتمام . وستعقب هذه الدراسة ـ بمشيئة الله ـ دراسة أخرى لمواقف الأفارقة من حرب البوير . وسيلاحظ أن هناك قدراً من الاتساق بين مواقف الأفارقة من الغارة والحرب ، بدرجة تجعلنا نعبر هذه الورقة مقدمة لتلك المخطط لها ، رغم وجود فاصل زمنى بين الحدثين يزيد عن أربعة عوام .

وإذا كانت هاتان الدراستان متعلقتين بمواقف الأفارقة من البيض وانعكاس الصراعات بين البيض عليهم فسوف تكون هناك دراسات مختصة بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأفارقة فى قابل الأيام بإذن الله .

وانطلاقاً من الأهداف التى حددتها هذه الورقة ، فإنه ليس من صميم هذه الدراسة أن تعيد استعراض غارة جيمسون وتكرار ما سبق دراسته ، بل إنها ستركز فى التناول المنهجى للموضوع المقترح على النقاط الآتية :

تمهيد : جنوب أفريقيا قبيل الغارة .

أولا : الغارة .

ثانياً : الأفارقة فى ميزان الرجل الأبيض إبان الغارة .

ثالثاً : مواقف الأفارقة من الغارة : السوازى ــ البتشوانا ــ المتابيلى .

خاتمـــة :

دكتور / السيد فليفل

مارس ٩١٨٥

هذا و بالله التوفيق

تمهيـــد

جنوب أفريقيا قبيل غارة جيمسون

خلال القرن التاسع عشر كان الاستيطان الأوروبى الأبيض قد بلغ أقصى مداه فى الجنوب الأفريقى ، واستكانت أو كادت جميع القبائل الأفريقية له ، بعد أن نجح فى تحطيم هياكلها العسكرية ومنظماتها القبلية ، وسيطر عليها بمنظمات عسكرية بيضاء . واقتسم المستوطنون البريطانيون والأفريكانريون — أو البوير (١) السيادة على هذه القبائل حسب وقوعها داخل حدود كل منها ، بل وامتدت سيادتهما على التجمعات القبلية الأفريقية الواقعة خارج الحدود ، على شكل حماية مفروضة تمكن لسرطان الاستيطان الأبيض أن ينمو ، بينما تتقلص القبائل المحمية وتتراجع أمامه ، فليست الحماية هنا تستهدف السود ، بل هى تأمين لمنطقة ما وخيراتها وعمالها لمدعى الحماية الأبيض .

وكان الاستيطان الأبيض مشطوراً من الناحية السياسية على أساس قومى بين البريطانيين والأفريكانرز ، كما أن المستوطنين البريطانيين كانوا وثيق الصلة بالامبراطورية البريطانية ، بينما انفصمت الصلة بين هولندا

---

(١) أنظر تعريفات مستفيضة لها فى : Astudy

Paterson, Shella : The Last Trek, y

of the Boer People and the Afrikaner Nation, London, 1957.

وعموما فا اللفظين يطلقان على عنصر واحد من المستوطنين الهولندى والألمانى والفرنسى الأصل الذين استوطنوا جنوب أفريقيا خلال حكم شركة الهند الشرقية الهولندية وهولندا لها ١٦٥٢ — ١٨٠٦ ، ولفظ البوير يقصدبه الإشارة الى هؤلاء المستوطنين باعتبار المهنة التى يمارسونها وهى الفلاحة والرعى ، أما لفظ الا فريكانرز فهو لفظ يحمل مضمونا سياسيا ويقصد به الا شارة إلى هؤلاء المستوطنين باعتبار انهم يشكلون قومية جديدة فى أفريقيا وأنهم مختلفون عن الانجليز ، والهولنديين فى أوربا .

والأفريكانرر . وقد كان الشطر البريطانى يضم بصفة أساسية مستعمرتى رأس الرجاء الصالح وناتال ، فضلا عن محميات باسوتولاند وبتشوانا لاند وروديسيا . وكان هناك حاكم لكل مستعمرة و محمية من هذه ، بيد أن الرأس وناتال كانتا تتمتعان بالحكم الذاتى ، نتيجة تواجد أعداد كبيرة من المستوطنين فيهما ، بينما كانت روديسيا خاضعة لحكم شركة جنوب أفريقيا البريطانية التى أسسها سيسل جون رودس . وقد كان على رأس الشطر البريطانى مناوب سام High Commissioner يقيم فى كيب تاون ، يقدم تقاريره مباشرة إلى وزير المستعمرات ، ويشرف على مجموعة المستعمرات البريطانية ، كل حسب تقدم الحكم فيها ، ومدى ما يسمح به من تدخل السلطة البريطانية مباشرة (١) . وقد تولى هذا المنصب الخطير إبان الفترة موضوع دراستنا سير هيركليز روبنسون H. Robinson وكانت تلك ثانى مرة يتولاه فيها ، كما كان يستثمر أمواله فى شركات رودس ، ولعل هذا يبرر جهود رودس لإعادته إلى منصب المناوب السامى (٢) .

أما شطر الاستيطان الأبيض الآخر فكان بويريا أو أفريكانريا ، وقد ضم جمهوريتين مستقلتين هما : جمهورية جنوب أفريقيا أو الترنسفال ، ودولة أورانج الحرة ، وكانت تجمعهما الرابطة القومية الأفريكانرية ، ويشتركان فى النظام الجمهورى ، وتقوم الحياة فيهما على بنية اقتصادية قوامها الرعى والزراعة المعتمدان على العمل الأفريقى الرخيص .

وقد سيطرت الجمهوريتان البويريتان على القبائل الواقعة داخل حدودهما سيطرة تامة ، وأحكمت وثاقها فى معازل Reserves اختيرت لها أسوأ المناطق جواً وأقلها إنتاجاً ، و فقراً فى مصادر الثروة الطبيعية لا سيما الأرض الخصبة ومصادر المياه . وزادت الترنسفال على ذلك بسيطرتها على قبيلة السواوزى ، بفرضها حمايتها عليها ، بعد الاتفاق مع بريطانيا (٣) .

---

(١) أنظر الخريطة رقم (١) عن الوحدات السياسية البيضاء فى جنوب أفريقيا .
(٢) وسيرمز للمندوب السامى با رفين الأولين H.C. فيما يلى من صفحات .
(٣) أنظر الخريطة رقم (٢) عن التجمعات القبلية الا فريقية حول الترنسفال .

وقاء اشترك العنصران الأبيضان الأفزيكانرى والبريطانى — رغم تعدد الوحدات السياسية لكل منهما — فى موقفهما من الأفارقة ، وفى إحكام قبضتهما عليهم . ويتضح هذا من تعيين حاكم عام ناتال سير والتر هيلى هتشنسون زعيماً أعلى Supreme Chief لقبيلة الزولو وكل قبائل ناتال الأخرى ، فى نفس الوقت الذى عين فيه بول كروجر رئيس الترنسفال زعيماً على الوطنيين فى جمهورية جنوب فريقيا (١) .

ورغم سيطرة المستوطنين البيض على التجمعات القبلية الأفريقية ظلت هناك قبائل متماسكة نوعاً ما حافظت على وحدتها فى صورة استمرار الخضوع للامالك أو الزعيم الأكبر Paramount Chief و فصاله من الزعماء الذين يحكمون بطون القبيلة Indunas ، ويجتمعون فى العاصمة أو المعسكر الكبير Big Kraal لمشاورة الزعيم فى أمور القبيلة الهامة (٢) . ومن أبرز الممالك أو الزعامات الأفريقية شبه المستقلة هذه السوازى والزولو والبتشوانا والمتابيلى والباسوتو . فعلى الرغم من أن هذه القبائل جميعاً خضعت للحماية البيضاء فإنها نجحت فى الحفاظ على قدر ما من الاستقلال والوحدة ، بشكل يفوق ذلك القدر الذى آل إليه حال القبائل الواقعة داخل حدود الوحدات السياسية البيضاء ، لا سيما أورانج والترنسفال البويرتين والرأس وناتال البريطانيين . فقبائل مثل التمبو والفنجو والاكسوزا فى مستعمرة الرأس تدهور استقلالها وانفرط عقدها ، منذ فترة مبكرة تدور حول منتصف القرن التاسع عشر .

ويلاحظ أن ثلاثاً من القبائل الأفريقية شبه المستقلة كانت تطرق الترنسفال من ثلاث نواح ، فالمتابيلى فى الشمال ، والسوازى فى الشرق ، والبتشوانا فى الغرب (٣) . وسوف تقتصر معالجتنا لقضية الأفارقة وغارة جيمسون على هذه القبائل الثلاث لعدة سباب هى :—

---

(١) C.O. 879. 45, Enclosure 3 in No. 157, Mayer of Pieter maritzburg to Governor, Natal, January 29, 1896.

(٢) Ibid., Cxtract from the Cape Times, January 22, 1896.

(٣) راجع الخريطة رقم (٢) .

١ ــ هذا الجوار الملحوظ للترنسفال جعلها وثيقة الصلة بالأحداث .

٢ ــ حجم القبائل الضخم جعل الحكومات البيضاء تحسب لها كل حساب إبان فترات صراعها .

٣ ــ قدرة هذه القبائل على الحفاظ على كياناتها الفعلية سمح لها باتخاذ مواقف يمكن رصدها .

٤ ــ اختلاف مواقف هذه القبائل إحداها عن الأخرى من الأحداث يمنح الباحث فرصة عقد مقارنات مفيدة تمكنه فى النهاية من استقصاء الحقيقة التاريخية ، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الاقتراب منها .

ولكى تتضح صورة الجنوب الأفريقى فى منتصف الحلقة الثانية من تعيينات القرن التاسع عشر ، تنبغى الإشارة إلى بعض البيانات التاريخية ذات الدلالة ، بالنسبة لكل وحدة من وحداته السياسية التى تهمنا متابعة موقفها السياسى فى هذه الدراسة . فأما مستعمرة رأس الرجاء الصالح فتضم أقاليم مناطق الاستيطان الأبيض فى المقاطعة ، وكانت عاصمتها هى كيب تاون ، وقد نالت الحكم النيابى فى عام ١٨٥٤ والحكم الذاتى فى عام ١٨٧٢ . وقد سيطرت على الحياة السياسية فيها الأحزاب الهولندية لا سيما حزب الرابطة الأفريكانرية The Afrikaner Bond Party بزعامة جان هوفاير ، لكن وجود الحامية البريطانية فيها ولا سيما القاعدة البحرية فى خليج سيمون ، وكون كيب تاون مقراً للمندوب السامى ، جعل الأفريكانرز يميلون إلى التعاون مع البريطانيين ، خاصة مع سيسل رودس ؛ رئيس شركة جنوب أفريقيا البريطانية ، والذى كون صداقة مع هوفاير أوصلته — أى رودس — إلى كرسى رئاسة وزارة الرأس منذ عام ١٨٩٠ ، وكانت مستعمرة الرأس تسيطر على ثلاث من خمس خطوط السكك الحديدية إلى مناجم جوهانسبرج (١) .

---

(١) C.O. 879, 45 : Op. Cit., Enclosure in No. 10, Railways, Customs and Trade.

وأما ناتال فكانت مستعمرة بريطانية تماماً ، إذ استوطنها البريطانيون منذ استعمارها فى بداية الأربعينات من القرن التاسع عشر ، وبالتالى لم يكن للأفريكانرز فيها سطوة تذكر . ولكن الطرفين البريطانى والأفريكانرى كانا يخشيان معاً سطوة طرف ثابث قوى هو الزولو ، وكانوا قبيلة أفريقية تخضع لزعامة ملكية عسكرية حطمها المستوطنون ، منذ استيطان ناتال . ولعل هذا يفسر تهجير الهنود إلى ناتال لزراعة القطن والقصب منذ ستينات القرن التاسع عشر . وفى عام ١٨٩٣ منحت ناتال الحكم الذاتى ، وصار لها خط سكك حديدية مستقل إلى مناجم جوهانسبرج ، وكان أقصر من خطوط مستعمرة الرأس (١) .

وأما دولة أورانج الحرة وجمهورية جنوب أفريقيا فكانتا دولتين أفريكانريتين يسيطر عليهما البوير . وقد اعترفت بريطانيا باستقلال بوير الترنسفال فى اتفاق نهر الساند عام ١٨٥٢ ، واستقلال أورانج فى اتفاق بليمفونتين — وهى عاصمتها — فى عام ١٨٥٤ . وكانت الترنسفال أشدهما عنصرية ، وعرفت بذلك عاصمتها بريتوريا ، التى ظهرت إلى الوجود فى عام ١٨٥٥ قبل انتخاب أول رئيس للجمهورية فى عام ١٨٥٧ . كما عرف رئيسها بول كروجر أيضا بالتشدد ، منذ نجاحه فى إخراج الانجليز من الترنسفال فيما عرف بحرب البوير الأولى فى عام ١٨٨١ ، والتى أنهت وجودهم فيها منذ ضمها فى عام ١٨٧٧ . وظل كروجر رئيسا للجمهورية حتى سقوطها فى عام ١٩٠٢ ، إثر حرب البوير الثانية ، وكان طوال فترات حكمه حجر عثرة أمام المطامع البريطانية بعد اكتشاف الذهب فى بلاده فى عام ١٨٨٦ ، كما كان شديد السطوة وعنيفاً مع القبائل الأفريقية فى الترنسفال ودعم الذهب عنصريته وتشدده ، فرفض منح المستوطنين البيض من العمال فى مناجم الذهب خاصة البريطانية منهم الحقوق السياسية التى كان يتمتع بها البوير فهم المواطنون Burghers وحدهم ، ونعت عمال جوهانسبرج

---

(١) C.O. 877 : Op. Cit., Enclosure in No. 10.

بالغرباء أو الأجانب الوافدين Uitlanders (١) :

أما دولة أورانج الحرة فكانت أقل عنصرية من الترنسفال ، وأكبر إتصالا بالمستعمرات البريطانية ، وأشد إرتباطاً بها من الناحيتين الثقافية والتجارية ، بحكم موقعها الجغرافى شمال الرأس وغرب ناتال . ولكنها ظلت جمهورية أفريكانرية تشترك مع الترنسفال فى كل شىء ذى طابع قومى ، رغم مصالحها الاقتصادية مع مستعمرة الرأس بالذات (٢) .

هذا عن الوحدات السياسية البيضاء بريطانية وأفريكانرية . وقبل أن نعرج إلى الوحدات السياسية الأفريقية تحت الحماية ينبغى أن نذكر بأن حال روديسيا كان مميزاً بين هذه الوحدات البيضاء وتلك الأفريقية . فالذى يتولى حكمها شركة جنوب أفريقيا البريطانية التى أسسها سيسل رودس ، قبيل رئاسته لوزارة الكيب . وكان يتولى إدارة روديسيا د. جيمسون ، الذى أصلى الأفارقة من قبيلتى الماشونا والمتابيلى ناراً حامية حتى أخضع كلتيهما لسلطة الشركة . وكانت المنطقة تخضع لحكم ملكى قوى عماده القوة العسكرية المتابيلية والقوة الزراعية الماشونية : وقد كان على رأس هذا النظام الملك لوبينجولا Lobengula ، الذى نجح جيمسون فى إزاحته من طريقه ، وإنهاء حكمه وحياته على السواء (٣) . وكان الاستيطان الأبيض فى روديسيا — على هذا — رأسمالية مرتبطاً بالشركة ، التى كان لها حق التشريع للمنطقة طبقاً لبراءة الحكومة البريطانية . وبهذا الحكم البريطانى فى روديسيا غير مباشر ، إذ أوكل للشركة إدارتها .

---

(١) Ibid.' Enclosure to No. 313, Extra OrdinaryGovernment Gazette of the South African Republic, Vol. XVI, Pretoria.

(٢) C.O. 877, 45, No. 362, Telegram Acting State President, Bloom Fontein, to H.C. Pretoria, January 13, 1896.

(٣) Cloete, Stuart : African Portraits, A Biography of Paul Kruger, Cecil Rhodes, and Lobengula, The Yast King of the Matabele, London, 1946, P. 148.

أما عن الوحدات السياسية الأفريقية فقد كانت أقلها خضوعاً للحكم الأوروبى هى سوازيلاند . فرغم حماية جمهورية جنوب أفريقيا عليها منذ عام ١٨٩٤ ، بما عليها طفيف من الإدارة المشتركة بينها وبين بريطانيا ، فقد ظلت الملكية السوازية متماسكة ، وعجزت الجمهورية عن تحقيق تغلغلها الاستيطانى داخل المملكة بغض النظر عن بعض المزارع التى استولى عليها المستوطنون فى أقصى غربها(١) .

وأما البتشوانا فقد بدأت متاعبهم مع الاستيطان الأبيض مع بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر ، حين بدأ بوير الترنسفال يوئلبون بعض بطون القبائل ضد البعض الآخر وتدخلوا فى صراعاتهم بعد ذلك ، مقابل الحصول على مزارع لهم فى أراضيهم . ولكن بريطانيا أرسلت حملة عسكرية قوامها خمسة آلاف جندى تحت قيادة سير تشارلز وارين Charles Warren فى عام ١٨٨٤ ، ليضم الجزء الجنوبى من بتشوانا لاند كمستعمرة ، والجزء الشمالى كمحمية ، ولينهى الوجود البويرى فى المنطقتين معاً ، وليمنعه من الاتصال بالألمان فى جنوب غرب أفريقيا الألمانية (ناميبيا) ، حتى لا يشكل هذا الاتصال خطراً على الاستعمار البريطانى فى المنطقة (٢) . وقد كانت قبيلة البتشوانا — رغم تفتتها وانقسامها — تنظر بعين الحقد إلى البوير ، وتعتبر الحماية البريطانية إنقاذاً لها من مزيد من التردى فى أوضاعها ، ومن استيعاب البوير لأراضيهم ، وتحويلهم بالتالى إلى عمالة مأجورة فيما كانوا يمتلكونه بالأمس (٣) .

وإذا أضفنا إلى القبائل السابقة قبيلة الباسوتو التى خضعت للحماية البريطانية منذ عام ١٨٦٩ ، بعد محاولة بوير أورانج للتوسع فى بلادها لعلمنا أن الممالك الأفريقية الكبرى فى الجنوب الأفريقى قد بدا بوضوح أنها

---

(١) C.O., 879, 45, 686, No· 130, H.C. to Mr· Chamberlain.

(٢) Ibid., No. 121, F.O. to C.O. to C.O., Fabruary 11, 1885.

(٣) أنظر ص ٢٧ من هذا البحث .

تحيا فى ظل الوجود الأبيض وتستكين لمستوطنيه ، وأن المحورين الرئيسيين للصراعات السياسية هما المحور البريطانى والمحور الأفريكانرى ، إذ لم يعد للأفارقة — على ما يبدو للناظر إلى أوضاعهم ، شأن كبير أو شوكة قوية : ويدلل على هذا من التعرف طرفى الصراع فى الحادث التاريخى المحورى الذى تدور هذه الورقة حوله وهو غارة جيمسون ، فقد كانت عملا عسكرياً قام به رجال بيض بالاستعانة برجال بيض ضد رجال بيض (١) .

أولا : غارة جيمسون

وكان د. ليونارد ستار جيمسون Leoard Star Jameson صديقاً حميماً لسيسل جون رودس ، الذى اختاره لمهمة صعبة فى ماشونالاند ليعمل على التمكين لشركة جنوب أفريقيا البريطانية من ذهبها ، وعلى تحويل شعوبها الأفريقية إلى العمل فى مناجمها ، تحت إشراف موظفى الشركة البيض . ونجح جيمسون فى مهمته ، وتحول الفرسان الأفارقة الأشاوس إلى عمال بؤساء بعد عدد من المعارك غير المتكافئة وغير الشريفة ، والتى قوبل بعضها فى لندن باعتباره بطلا قومياً .

ولكن المناجم بخلت بكنوزها على المستغلين البيض ، كأنما انقلبت نحاساً تعاطفاً مع عرق ودم العمال السود . وخسرت الشركة أموالا طائلة ضاعت فى التعدين . غير الاقتصادى ، وأخرى من أجل التحول إلى الاستثمار الزراعى . وكان على سيسل رودس رئيس وزراء مستعمرة الرأس أن يعالج موقفه المالى بسرعة ، حتى لا يحرجه المستثمرون ، لا سيما بيت روتشيلد اليهودى فى لندن ، وبارنى بارناتو اليهودى شريكه فى جنوب أفريقيا . وبدأ رودس يهتم بمناجم الذهب فى مجرهانسبرج ، ليس مالياً فقط بل وسياسياً كذلك (٢) . بعد ما أدرك أن بول كروجر رئيس جمهورية

---

(١) C.O. 45, 879, No. 16' Telegram from Her Majesty's Agent, Pretoria, to H.C., Cape Town, Dec. 30, 1895.

وسيرمز بالحروف الثلاثة الأولى (H.M.A.) إلى الممثل بريطانيا فى بريتوريا .

(٢) Ibid', Enclosure in No. 176.

جنوب أفريقيا ان يسمح له بتحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية ، ومنها مشروع خط حديدى القاهرة الكيب ، الذى كان مخططاً له أن يخترق الترنسفال من الجنوب ليمر بالعاصمة بريتوريا فى طريقه إلى نهر الليمبوبو ونهر الزمبيزى . فبدأ رودس فى الإعداد للإطاحة بكروجر ، بالاتصال بالاوتلاندرز لإثارتهم ضد كروجر بحجة تأييد حصولهم على حق الانتخاب والحقوق السياسية الأخرى (١) .

وكان دور جيمسون فى هذا المخطط هو قيادة قوة عسكرية من شرطة الشركة والبيض من منطقة مافيكنج فى بتشوانا لاند على حدود الترنسفال الغربية ، والدخول عبر حدود الترنسفال الدولية ، والتقدم إلى جوهانسبرج للتحصن بها ، ريثما يتيسر للقوات البريطانية أن تتدخل ، بحجة منع نشوب حرب أهلية فى جوهانسبرج بين البوير والبريطانيين ، وستكون نتيجة تدخلها بالطبع القضاء على استقلال الترنسفال . وقد شارك قادة الاوتلاندرز من حزب الاتحاد القومى الترنسفالى Transvaal National Union فى المؤامرة بتوزيع الأسلحة التى هربتها الشركة إلى جوهانسبرج على العمال الاوتلاندروز ، وبإثارة الفوضى فى المدينة ، وبتسليم جيمسون خطاباً غير مؤرخ يرجونه إنقاذ أرواح الأبرياء من العدوان البويرى ، وكان على جيمسون أن يضع التاريخ المناسب له عند عبوره خط الحدود (٢) . وشاركت وزارة المستعمرات البريطانية ووزيرها جوزيف تشمبرلين فى الغارة بنقل شريط من الأرض من بتشوانا لاند بطول حدود الترنسفال إلى إدارة الشركة لترتب المؤامرة عليه (٣) .

---

(١) C.O. 879, No. 101, Sir Walter Hely-Hutchinson, Governor of Natal to the H.C. Sir Her cules Robinson, Confidental, No. 2 Pieter Martiz burg, Natal, January 10, 1896.

(٢) Ibid., No. 100, The Natal Witness, January 10, 1896, Extract, "The Situation" to the Editor of the Natal Witness.

Ibid., Enclosure 1*k* in No. 101, Governor of Natal Wtness.

(٣) Ibid., Enclosure 1*k* in No. 101, Governnor of Natal to H.C., Telegram, January 7, 1896.

وقد اكتشف بوير الترنسفال المؤامرة ، وهزموا قوة جيمسون عند كروجرز دورب Krugers Dorp ، وقتلوا بعض رجالها وأسروا غالبيتهم ، وبينهم جيمسون ، كما ألقوا القبض على بعض قادة حزب الاتحاد القومى الترنسفالى ، وبينهم فرانك رودس شقيق سيسل (١) .

وكانت أهم نتائج غارة جيمسون هى استقالة سيسل رودس من رئاسة وزراء الكيب ، وتخليه عن رئاسة شركة جنوب أفريقيا البريطانية ، وانتهاء التعاون السياسى بينه وبين حزب الرابطة الأفريكانرية ، وشيوع روح التنافر العنصرى بين الانجليز والأفريكانرز فى كل جنوب أفريقيا ، وقيام تحالف سياسى بين الترنسفال وأورانج . وقد أفضت هذه النتائج سريعاً إلى حرب البوير ، بعد أن تبنت الحكومة البريطانية قضية الاوتلاندرز ، وطالبت بحقوقهم السياسية لدى بول كروجر .

ثانياً : الأفارقة فى ميزان الرجل الأبيض إبان الغـــارة

ترتب على غارة جيمسون تصاعد خطير فى المشاعر القومية والعنصرية لدى عنصرى البيض فى الجنوب الأفريقى ، فصار الأفريكانرز يصرحون علانية بوجوب أن تكون أفريقيا للأفريكانرز من الزمبيزى شمالا إلى خليج سيمون جنوباً ، بمعنى أنهم كانوا يدعون لطرد بريطانيا من المنطقة . وصار البريطانيون فى ذات الوقت يطالبون حكومتهم بأن تكون لها وحدها السيادة المطلقة على المنطقة ، بمعنى أنهم يدعون لإنهاء استقلال جمهوريتى الترنسفال وأورانج الحرة (٢) .

---

(١) C·O. 879, 45, Enclosure 12 in No. 101, Ministers to Governor of Nata, Minute No. 5, January 8, 1896.

(٢) Ibid., Telegram from Resident Commissioner, Mafeking to H·C., Pretoria, January 10, 1896.

المندوب المقيم هو الحاكم البريطانى فى مافيكنج بيتشوانالاند .

بهذا دخل الصراع بين عنصرى البيض مرحلة جديدة كان لا بد وأن تنتهى بنصر عنصر منهما وحسر نفوذ العنصر الآخر . فأين كانت الغالبية الأفريقية من هذا كله ؟ وكيف نظر طرفا الصراع إليها ؟ وهل حددا لها دوراً فيه ؟

كان تعداد الأفارقة داخل المجتمعات البيضاء جمماً غفيراً ، وأن كان البيض قد كبلوهم فى هذه المجتمعات بأنظمتهم العنصرية ، فإن احتمام ثورتهم كان مثيراً لقلق البيض . وكانت مشكلة الأفارقة خارج حدود الوحدات السياسية البيضاء أعمق وأخطر من مشكلة الأفارقة داخلها . فأفارقة القبائل شبه المستقلة — الخاضعة للحماية ؛ كالسوازى والباسوتو والبتشوانا والمتابيلى وغيرهم — كانوا يملكون من أمر أنفسهم ما يمكنهم من اتخاذ قرار مستقل ، ومن معاداة البيض أو إظهار هذه المعاداة ، بل والعمل على إثارة عداء الأفارقة داخل الوحدات السياسية البيضاء . وبهذا كانوا يشكلون لهذه الوحدات مشكلة داخلية وخارجية فى نفس الوقت . وما عزفت هذه الوحدات البيضاء عن ضمهما وإخضاعها بشكل كامل إلا خوفا من تضخيم مشاكلها الداخلية ، وعجزاً عن إدارة مثل هذه القبائل الضخمة . ويمكن أن نلاحظ أن ميزان الرجل الأبيض للأفارقة انتظمته كفتان غير متساويتين ؛ كفة الأيديولوجية البيضاء تجاه كل الأفارقة ؛ وكفة المصلحة السياسية العليا لكل عنصر أبيض على حدة .

أ — الأيديولوجية البيضاء :

على الرغم من أن البيض لم يجلسوا معا ليتفقوا على موقف موحد من السود ، ويتعاقدوا عليه ويوثقوه ، إلا أننا نستطيع أن نرصد هذا الموقف ، الذى يمكن أن نعده أيديولوجية بيضاء تجاه السود الأفارقة ، وهو يقوم على محاولة منع هؤلاء من الدخول فى صراعات البيض أو حروبهم أو أزماتهم ،

---

(١) C.O. 879, 45, Enclosure I in No. I, Native Affairs in the South African Republic.

باعتبار أنها تخص الرجل الأبيض وحده . وكان الهدف من انتهاج هذه الأيديولوجية هو أن تظل السيادة البيضاء تظلل رؤوس الأفارقة ، أياً كان العنصر الأبيض الذى يحمل لواءها انجليزياً كان أم أفريكايزيا . وفى هذا ضمان لعدم جرأة الأفارقة على البيض ، وعدم إطلاعهم على مواطن الضعف والقوة لدى البيض ، فيفكروا يوماً فى استعادة بلادهم التى استوطنوها ، أو على أقل تقدير لا يطالبوا بمعاملتهم وفق روح مختلفة الروح العنصرية السائدة التى يفرضها البيض عليهم .

ويمكن لنا أن نسوق للتدليل على هذه الأيديولوجية عدداً من الشواهد المؤيدة . ففى محاولة من الترنسفال للحصول على تأييد شقيقتها دولة أورانج الحرة ضد غارة جيمسون أرسلت إليها لتقول بأنه قد تأكد لديها عبور مسلحين بيض وسود حدود بتشوانا لاند مع الترنسفال إلى داخل الجمهورية ، وأنه قد تواترت لديها أنباء عن أن أحد زعماء قبيلة بتشوانا لاند قد عبأ قواته خلال الغارة بغرض دعم قائدها جيمسون ضد القوات الترنسفالية . وكان هذا كافياً لكى تشجب ورانج الغارة وترسل قواتها لمساعدة الترنسفال ، وان تستفسر من المندوب السامى البريطانى مستنكرة .

ولم تكن تلك هى المحاولة الوحيدة للترنسفال لكسب دولة اورانج وكل الأفريكانرز إلى جانبها ، فقد أضاف رئيسها كروجر غارة جيمسون إلى تستفسر من المندوب السامى البريطانى مستنكرة .

ولم تكن تلك هى المحاولة الوحيدة للترنسفال لكسب دولة أورانج وكل الأفريكانرز إلى جانبها ، فقد أضاف رئيسها كروجر غارة جيمسون إلى ما اسماه بالهجمات الماكرة لموسيلكاتزى ودنجان ، واعتبر غارة جيمسون أسوأ الهجمات الثلاث لأن الذى قام بها ليس أسوداً متبربراً وثنياً وإنما هو بيض

---

(١) C.O. 879, 45, No. 86' Telegram frcm Actıng State President, Pretoria, to H.C., Cape Town, January 2, 1896.

مسيحي متحضر . وذكر كروجر بأنه سيعدل من أجل أن تظل سياسته دائماً مثالا للاهتداء بالمثل المسيحية . أما موسيلكاتزى فهو زعيم المتابيلى ، وأما دنجان فهو زعيم الزولو ؛ وقد قاوم كلاهما توسع الاستيطان البويرى فى أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، دون جدوى ، وكانت كتب التاريخ الأفريكانزى فى الترنسفال تحتوى على أكاذيب مبالغ فيها بخصوص الادعاء بما عاناه الشعب الأفريكانزى من هجماتهما الماكرة ، دون الإشارة إلى أن هذين الزعيمين كانا يدافعان عن أراضيهما وشعبيهما ، ولم يذقلا لشن هجوم على المستوطنين بل إن العكس هو الصحيح . ومع تضخيم البيض لكراهية الأفارقة لهم بنائهم ، وإرضاعهم مشاعر العنصرية لهم جيلا بعد جيل ، تأتى إضافة مجزرة جيسمون إلى هاتين الهجمتين المزعومتين لتضيف مغزى واضحاً ومعنى قوياً فى هذى غرابة مجزرة جيسمون والصامتة التى بينتها .

أسرع المندوب السامى البريطانى بالاتصال بالممثل البريطانى فى بريتوريا يأمره بتكذيب هذا النبأ وأن يبين للمسئولين الترنسفاليين بأن غارة جيسمون كانت عملا قام به الرجل على مسئوليته الخاصة معتمداً على رجال بيض دون الاستعانة بالبتشوانا . وكان الممثل البريطانى قد أرسل ما يفيد ذلك المندوب السامى ، حتى قبل أن تزعم بريتوريا لبليمونتين اشتراك سود فى غارة جيسمون . وهذا مؤشر هام على مدى التوجس الذى يعترى البيض خوفاً من اشتراك السود فى صداماتهم .

ومع هذا كان مستحيلا أن ينجح عنصر من عنصرى البيض فى الاعتماد على نفسه فقط ، وأن ينحى جانباً الاستعانة بالسود ضد خصمه . وكانت هذه الاستعانة معلومة للطرف الآخر ، ولا يسجل مع هذا اعتراضه عليها ، لأنها كانت مقصورة على عمال المعاونة ، ولا تنصرف إلى القتال والالتحام فيه .

---

(١) C.O. 879, 45, Enclosure in No· 159, the Pretoria Press January 14, 1896, Extract‘ the Political Situation "Three Treacherous Attachs"‘ the last the worts".

(٢) Ibid·‘ Telegram from H.M.A., Pretoria, to H.C. Cape Town, Dec. 30, 1895·

وكان الاعتراض إذاً مقصوراً على مشاركة الأفارقة فى صدامات البيض كقوى سياسية وقبائل منظمة لها جيوش مقاتلة ، أما عمال الخدمة وحمل الأمتعة ، وعمليات الاستطلاع والتجسس والاستكشاف فقد كان كل طرف يكلف بها من يقع تحت سلطته وسيطرته من الأفارقة . وقد كان المبشرون هم الواسطة بين السلطات العسكرية لعنصرى البيض وبين الزعماء الأفارقة لطلب معاونتهم فى غير ميدان القتال أو قبيل الالتحام فيه ، فى كثير من الأحوال . وقد كلف قائد عام القوات البريطانية المشير البريطانى جون ويلوغبى بسؤال الزعيم خاما Khama أحد كبار زعماء البتشوانا بأن يقدم مرشدين ورجال استطلاع يمتازون بالسرعة ليدخلوا الترنسفال ويعودوا بأخبار قواتها وأماكن تمركزها ، لينظر القادة البريطانيون هل فى أوضاعها ما يهدد المستعمرات البريطانية .

كان هذا الاستخدام الأفارقة مشتركاً بين طرفى الصراع الأبيض إذاً ، لكنه جرى وفق مجموعة من المحددات التى حرص البيض على الأخذ بها ، ومن أهمها : تضييق نطاق استخدام الأفارقة إلى أضيق ما يمكن ؛ والبعد بهم عن ميدان القتال ؛ والمحافظة على هيبة البيض المشتركة أمامهم ، ومراعاة مصالح البيض إزاءهم . فإن على كل البيض التصدى للسود ، بينما تجب تجزئة السود بحيث لا يثوروا مجتمعين . ويبرز مدى هوان الأفارقة فى ميزان البيض فى تلك اللحظة التى ظهر فيها ن غارة جيمسون يمكن أن تتسبب فى حدوث مجاعة فى جوهانسبرج ، نتيجة حصار البوير لها . فأبدى المناوب السامى البريطانى الذعر من أن يؤثر ذلك على آلاف البريطانيين فى المدينة ، ولم يشر ، حتى ولو من طرف خفى ، إلى وجود آلاف ، بل مئات الآلاف من الأفارقة فى المدينة ، كانوا هم أيضاً مهددين بالمجاعة والهلع والقتل ، وكانوا آخر من

---

(١) C.O· 879, 45‹ Enclosure in No. WB5, P. 176.

(٢) Ibid., Telegram from General Officer Commanding, Cape Town, to H.C. Pretoria, January 6, 1896.

يحسب حسابهم إذا توفر الغذاء .

انطلاقاً من الأيديولوجية البيضاء تجاه الأفارقة ، وجه كبار المسئولين فى معسكرى البيض نداءات متكررة إلى الأفارقة التابعين لهم والخاضعين لسيطرتهم بضبط النفس وعدم التدخل فى مشاكل البيض . وإزاء الحساسية التى ثارها اتهام الترنسفال لجيبسون بأن قواته ضمت أفارقة سوداً ، اشتد المندوب السامى البريطانى بصفة خاصة فى إقناع الزعماء الأفارقة بأن الأمر لا يخصهم وأن عليهم كبح جماح رجالهم .

ويتضح لنا بجلاء أنه رغم الصراع بين عنصرى البيض فإن عداءهما للأفارقة كان يسبق حسابات وموازين القوى فيما بينهما ، وإن المحافظة على هيبتهما المشتركة كبيض كانت تسبق إبراز كل منها مدى تفوقه على الآخر أمام الأفارقة . وتتمزق الأستار التى أسدلها البيض على أيديولوجيتهم تجاه الأفارقة ، إذاً نحن تعرضنا لمسألة طلب الترنسفال شراء أسلحة من ناتال ، فى غضون أيام الغارة : فقد كانت المشاعر العنصرية بين الأفريكانرز والإنجليز تسود الحياة السياسية وتسود صفحات الصحف فى جنوب أفريقيا من الزمبيزى إلى خليج سيمون ، لدرجة طلب معها حاكم ناتال من المندوب السامى البريطانى — خلال زيارته لبريتوريا — أن يحث حكومة جنوب افريقيا على عدم تشجيع هولندى ناتال على القيام بأى دور فى الاضطرابات التى أعقبت غارة جيمسون ، وذلك بسبب رغبتهم فى التوجه إلى بريتوريا لمساعدة بنى جلدتهم فى التصدى لجيمسون . وفى نفس هذا الوقت المثحون بالعداء بين الإنجليز والأفريكانرز تقدم قنصل الترنسفال فى ناتال بطلب إلى حكومتها لشراء بنادق وذخائر من

---

(١) C.O. 877, 45, No. 51, Telegram from H.M.A., Pretoria, to H.C., Cape Town' No. 1, January 1, 1986.

(٢) Ibid., No. 205, Telegram from H.C. Pretoria to Resident Commissioner, Mafeking, January 7, 1876, No. 2.

(٣) Ibid., No. 189, Telegram from Governor, Natal to H.C., Pretoria, Pretoria, January, 1896, No. 2.

سوق السلاح بدوربان وبيترماريتزبرج العاصمة الناتالية ، وبعرض هذا الأمر على الوزارة الناتالية أبدى الوزراء استعدادهم لتصدير السلاح إلى الترنسفال — بعد موافقة المندوب السامى ، على أساس أن هناك شائعة تؤكد أن السوازى يعتزمون القيام بهجوم على البوير فى الترنسفال ، ومن المحتمل — على هذا — أن يكون السلاح مطلوباً لاستخدامه التصدى السوازى فى هجومهم المتوقع .

وعلى الرغم من أنه قد تأكد لحكومة ناتال أن كمية ضخمة من الأسلحة قد ستحلت فى أيدى جيش الترنسفال بعد استسلام قوة جيمسون ، ومصادرة سلاحها ، وبعد جمع السلاح من المتمردين الأوتلانديرز فى جوهانسبرج ، ورغم إدراك حكومة ناتال لإمكانية اتهام مواطنيها لها بتفضيلها الهولنديين عليهم إذا وافقت على تقديم السلاح المطلوب إلى الترنسفال — رغم هذا كله — فإنها أبدت موافقتها على إتمام الصفقة إذا قالت حكومة الترنسفال بأنها تطلبها التصدى للسوازى .

إلى هذا الحد إذاً تتلاشى خلافات البيض إذا ما شكوا — مجرد شك — أن بوسع المارد الأفريقى أن ينهض متحلياً . وإذا كانت حقوق المواطنة الترنسفالية ورفض منحها للبيض الإنجليز هى السبب فى شن غارة جيمسون وفى تعقيد العلاقات بين عنصرى البيض ، فإن هذه المواطنة التى كانت بعيدة المنال قد منحت للإنجليز الذين شاركوا بأدوار ملحوظ فى حروب الأفارقة . فقد كان الاستبسال فى حربهم أول مبرر لضمهم إلى مواطنى الجمهورية ومنحهم هذا الامتياز .

---

(١) C.O. 879, 45, Enclosure 14 in No. 101, Governor, Natal, to H.C. Confidental, No. I, Government House, Pietermarit wburg, January 8, 1896.

(٢) Ibid., Enclosure 16 in No. 101, H.C. to Governor of Natal, January 9, 1896, Translation & Also,:
Enclosure 12, in No. 101, Natal Ministers to Governor, Minute No. 5, 1896, Prime Minister office, January 8, 1896.

(٣) C.O. 877. 45, No. 130, H C. to Mr. Chamberlain, February 17, 1876.

والشاهد والدليل الأخير الذى نقدمه على مدى تمسك البيض بما ندعيه من ايديولوجية موحدة تجاه الافارقة أن كرومجر — الذى طالب بعد الغارة بأن تلغى الحكومة البريطانية البراءة الملكية لشركة جنوب افريقيا البريطانية وأن تشرف هى على إدارة روديسيا — حين علم بأن هناك شائعات تتردد عن عزم قادة المتابيلى على مقاومة الوجود الأبيض فى روديسيا ، والإغارة على بولاوايو ، التى لم تتمكن من تحقيقها فى ظل ظروف سر جيسون وقوته روديسيا ، ويطلب السماح لقواته بالتقدم إلى متابيليلاند لحماية حياة النساء والاطفال التى يتهددها خطر هجوم الأفارقة . واذا علمنا بأن دويلة صغيرة مثل الترنسفال هى التى تعرض مثل هذا العرض لمساعدة امبراطورية مثل الامبراطورية البريطانية ضد الأفارقة فى إحدى مستعمراتها ، استبان لنا أن هناك ايديولوجية شعورية البيض يصرون عليها مهما تكن انقساماتهم .

وإذا كانت هذه الايديولوجية البيضاء تتحكم فى كل البيض مهما يكن وولاءهم السياسى كبريطانيين و افريكانرز ، فإن كل عنصر منهما كان يحاول تغليب مصالحه على مصالح العنصر الآخر .

(ب) المصلحة السياسية العليا لكل عنصر من عنصرى البيض :

كانت الكفة الثانية الميزان العنصرى الذى وضع البيض الأفارقة فيه هى : كفة المصلحة السياسية العليا لكل عنصر من عنصرى البيض فى الجنوب الافريقى على حدة . ولاشك أن هذه الكفة كانت كفة مرجوحة بالنسبة الكفة الاولى من ميزان الرجل الابيض وهى كفة الايديولوجيا الشاملة العنصرين معا .

وكانت محاولات كل عنصر أبيض المحافظة على مصالحه السياسية العليا فى صراعه مع العنصر الآخر ، شاهدا على مدى حرص العنصرين معا على

---

(١) Ibid., No. 258, H.C. to Mr. Chamberlain, April 3, 1896, No. 3.

الظهور أمام الأفارقة بمظهر القوى الذى لايقهر ، ومن ثم كان حرصهما على استطلاع آراء الزعامات الافريقية فى الأحداث الكبرى ، وتوضيح موقفهما لهذه الزعامات . وكانت تصرفات البيض فى هذا الصدد دليلا على أن للأفارقة دورا ، حتى إن حرص البيض على إبعادهم عن صراعاتهم ، ودليلا على أنه لايمكن — منطقياً — إغفال هذه الجموع الغفيرة من أصحاب الأرض الاصليين ، ودليلا — أخيرا — على خطأ الممارسات العنصرية البيضاء ، وفشل محاولات الفصل بين السكان على أساس عنصرى .

ولاتقتصر محاولات كل عنصر أبيض للمحافظة على مصالحه السياسية العليا على استخدام الأفارقة والاستعانة بهم فرادى على نحو ما أوضحنا من قبل(١) ، بل تمت وهذه المحاولات الى كسب ود القبائل الافريقية ككيانات سياسية ، دفعا لعدائها ، وما يترتب على ذلك من مخاطر ، وليس لاستخدامها ضد العنصر الأبيض الآخر ، على نحو ماتقتضى الايديولوجية البيضاء .

قد تباين هذه المحاولة الصعبة لتحقيق التوازن بين الايديولوجية البيضاء عموما وبين المصلحة السياسية العليا لكل عنصر مستحيلة التطبيق . ولكن مادامت بالأمثال تتضح الأقوال ، فإن مثالا هاهنا سيبين مغزاها . فقد كانت قبيلة السوازى ، التى أوشك البريطانيون أن يقاسموا السلاح لأعدائهم البوير الترنسفاليين لقتالها ، قد انتشرت الشائعات بين رجالها كالنار فى الهشيم تفيد بأن البوير قد هزموا القوات البريطانية بقيادة جيمسون . وقد أرسل القنصل البريطانى لدى مملكة سوازى إلى المندوب السامى يطلب موافاته بمعلومات كاملة عن أحداث غارة جيمسون ليقوم بتوضيح الصورة للقبيلة وزعمائها ، لأنهم يعتبرون القضاء على غارة جيمسون هزيمة للأنجليز على أيدى البوير ، وعندما استجاب المندوب السامى القنصله اجتمع هذا بملك

---

(١) راجع ماورد فى ص ١٣ — ١٤ .

السوازى بوتو Bunu ليضع الحقائق بين يديه ، وليؤكد له أن جيمسون كان يقاتل معركته تحت مسئوليته وليس على رأس قوة بريطانية رسمية(١) .

يدلنا هذا التصرف على مدى حرص العنصر البريطانى على التأكيد لقبيلة السوازى — التى لاتخضع لحمايتهم — إن الجيش المهزوم لا يمثله ولا يقاتل معركته . ولنا أن نتصور مدى جهد بذل المسئولون البريطانيون لدى كافة القبائل الخاضعة لحمايتهم ، للإبقاء على أهميتهم ، حتى لاتعين هذه القبائل البوير أو تثور استنادا إلى انتصارهم . ولنا أن نتخيل البريطانيين يقدمون السلاح للبوير لقتال السوازى ، بينما مبعوثهم لديهم يشرح لمليكهم أن الذى هزم جيمسون وليس الجيش البريطانى فى جنوب أفريقيا(١) . إن كفتى الميزان الأبيض واضحتان فى هذا المثال وضوحا ظاهرا .

ثالثاً : مواقف الأفارقة من الغارة

لعلنا نخرج بنتيجة منطقية مبدئية من المقدمات التى طرحتها هذه الورقة حتى الآن ، فما دام البيض لا يرغبون فى إشراك الأفارقة فى صراعاتهم ، ومادام كل عنصر منهما مهتما ، ذات الوقت ، بالحفاظ على هيبته لديهم ، فإن مواقف هؤلاء الأفارقة من الغارة غالبا ماستحكمها عوامل ذاتية خاصة بهم .

وقد جاءت مواقف الأفارقة من الغارة مختلفة موقفاً عن موقف تبعاً لتجربة كل قبيلة مع الاستيطان الابيض ، بصفة عامة ، ومع كل عنصر من عنصرية ، بصفة خاصة ، ونظرتها لامكاناتها وإمكانات قوى الاستيطان الأبيض، بصفة أخص . ويتطلب الامر النظر الى مواقف كل قبيلة على حدة من الغارة .

---

(١) C.O. 879. 45, No. 181, Telegram from Governor, Natal, to H.C., Pretoria, January 6, 1896, No. 2.

(٢) Ibid., Telegram from British Consul Bremersdorp, to H.C., Pretoria, January 6, 1896.

١ – السوازى :

كان على رأس أمة السوازى إبان الغارة ملك يدعى بوتو . وقد وافقت بريطانيا على أن تفرض الترنسفال حمايتها على سوازيلاند منذ عام ١٨٩٤ . ومع هذا فإن أمة السوازى بقيادة الملك بوتو نجحت فى الحفاظ على تماسكها ووحدتها السياسية . واستمر الملك بوتو يعمل على الحفاظ على علاقاته الحميمة البويرية ، أو آملا فى تحقيق قدر من توازن القوى داخل سوازيلاند بين بريطانيا والترنسفال ، بما يحقق مصالح السوازى ، على أقل تقدير .

وفور إحاطة الملك بوتو علما بالغارة جمع مستشاريه وقادة بطونه القبلية ، لبحث الأوضاع فى الترنسفال . ويبدو أن مجلس القبيلة كان يميل إلى انتهاز فرصة غارة جيمسون التخلص من حكم بوير الترنسفال ، ولكن الملك عزف عن هذه المحاولة ، بينما يتأكد من دعم المسئولين البريطانيين فى جنوب أفريقيا له . وكإجراء احتياطى قام الملك بالانتقال إلى تلال اندمبا Indimba Hills وهى المقر العسكرى الذى ينزل به الملك فى مثل هذه الظروف(١) .

وفكر الزعيم السوازى أن يرسل رسلا من لادنه إلى خليج دالجوا فى مستعمرة موزمبيق البرتغالية ليرسلوا من هناك تلغرافا إلى وزير الدولة البريطانى لشئون المستعمرات يضعون بمقتضاه خدمات أمة السوازى ضد البوير تحت تصرفه . وقد فكر العاهل السوازى على هذا النحو ، خوفا من أن يطلع البوير على اتصالاته بالقنصل البريطانى ، و يقبضوا على من يحمل رسالة بهذا الصدد من القنصل . وأرسل أحد رسله إلى القنصل يعرض عليه الأمر فاثناه عن عزمه هذا ، وأكد له رفض خدماته ، وطلب إليه أن يكون اتصاله بالحكومة البريطانية عن طريق القنصل البريطانى ، وكان لهذا النصيحة أثرها فى طرح الزعيم ومستشاريه لفكرة الثورة والتعاون مع بريطانيا وعلى هذا بدأ الزعيم فى انهاء حالة الطوارىء التى أعلنها تدريجيا ، بحيث

---

(١) C.O. 879, 45, Extract from the Cape Tawn, January 22, 1896.

لم يات يوم السابع من يناير حتى كان كل شيء فى زمبوتى هادئا ، ولم يكن بالمعسكر سوى الحامد المعتاد ومجرده فيه ، ثم انتقل الزعيم إلى معسكره قرب ماميبا Mdimba لمدة يومين(١) .

ولكن محاولة الملك لتهدئة ثورة الشباب من قبيلته كان بحاجة إلى أكثر من الانتقال من مقر إلى مقر . لقد تعالت اصواتهم فى مجلسه ، مطالبة بالثورة ضد البوير بأى ثمن ، بينما نصح بعض الشيوخ المجربين بأن يتم هذا فى نفس الوقت الذى يضعون فيه أنفسهم تحت الحكم البريطانى ، وبأى يباشروا تعاطفا مع د. جيمسون ومع الأوتلانارز البريطانيين . ولما وصلت عروضهم إلى القنصل البريطانى فى سوازيلاند اجتهد والبريطانيون المقيمون بها فى إقناعهم بالتزام الهدوء ، والامتثال للحكم البويرى الترنسفال ، وأخبرهم صراحة بأن مساعدتهم ليست مقبولة فى صراع يدور بين أمتى البيض فى جنوب أفريقيا . ولم يخف القنصل البريطانى إدراكه بأن الثورة السوازية المقترحة كانت تستهدف مصالح أمة السوازى أولا وقبل كل شيء وأن التعاطف مع جيمسون والأوتلارز ضد حكومة كروجر ليست إلا لعبا على الوتر الحساس ، فى وقت الأزمة التى أثارتها الغارة(٢) .

إذا كان موقف القنصل البر طانى يجسد الايديولوجية العامة للبيض فى جنوب أفريقيا فإن موقف السوازى ، من حيث التربص بالبيض وانتهاز فرصة وقوع مشاكل بينهم لتحقيق المصالح الافريقية ، يشكل أيضاً الايديولوجية الافريقية تجاه البيض . وسوف نضع أيدينا على هذه الايديولوجية بعد المواقف المختلفة للقبائل الافريقية(٣) .

---

(١) Ibid.' Enclosure in No. 206, British Consul, Swaziland, to H.C., February 4, 1896.

(٢) C.O. 877, 45, Extract from the Cape Times, January 22, 1896.

(٣) أنظر ص ٢٩ من هذا البحث .

وقد تسبب إجراء ملك السوازى بنقل مقر إقامته إلى العاصمة العسكرية فى إثارة مخاوف حكومة جمهورية جنوب أفريقيا ، وظن قائدها العام جنرال جوبرت Jubert ، وهو نائب رئيس الجمهورية فى ذات الوقت — ظن — بأن البريطانيين يحرضون السوازى على الثورة ضد البوير ، وألقى مسئولية إثارتهم وتحريضهم على شركة جنوب أفريقيا البريطانية ، باعتبار أن قائدها جيمسون هو المسئول الاول عن الغارة . وتبع ذلك الاتهام تنظيم حملة دعائية واسعة فى الصحف لإدانة تصرفات الشركة وإثارتها للقبائل الافريقية ، بهدف إظهارها بمظهر المتواطىء مع السود ضد البيض(١) .

ولما كان من مصلحة الحكومة البريطانية تهدئة الأوضاع فى جنوب أفريقيا ، بعد فشل الغارة ، ريثما تتمكن هى من قيادة الأمور وتسييرها إلى حيث تبتغى من فرض سيادتها الكاملة على المنطقة ، فقد أصدر المندوب البريطانى سير هيركليز روبنسون أوامره إلى القنصل البريطانى فى سوازيلاند بتقصى الحقيقة الكاملة عن نشاط البريطانيين ، وبصفة خاصة القادمين منهم من روديسيا ، والتأكد من عدم إثارتهم السوازى . وقد اتصل القنصل البريطانى فى سوازيلاند ببريطانى آخر يدعى رازبون C.B. Rathbone كان وثيق الصلة بملك السوازى ، وكان بمثابة قنصل بريطانى فى ذومبوتى Zomoti ، وهو المقر الملكى للملك ، وطالبه باطلاعه بحقيقة الأوضاع ، فرد عليه بنفى كل ادعاء .ويرى بإشارة شركة جنوب أفريقيا للسوازى ، ذاكراً له بأن ظروف وجوده فى مقر الملك Head Kraal على مدى الإثنى عشر شهراً الأخيرة ، واتصاله اليومى بالملك السوازى وكبار رجاله يسمحان له بالقول بأن أقوال جنرال جوبرت القائد العام البرتغالى لا أساس لها من الصحة (١) .

---

(١) Ibid.' No. 176, H.C. to Mr. Chamberlain, February 8, 1896.

(٢) Ibid', The Star of Johanesburg, January 11, 1876.

(٣) C.O. 879. 45, T.B. Rathbone, to the British Consul, Zomboti, January 18, 1786.

وما كادت حقيقة الأمور تنجلى عن فشل جيمسون فى تحقيق الأهداف المخططة لغارته على الترنسفال ، حتى بدأت أعداد متزايدة من البوير تصل إلى سوازيلاند لتقوم بحملة دعائية واسعة لانتصارهم على البريطانيين ، وتعلن صراحة أنه إذا عاود البريطانيون الكرة فسيطلبون عون ألمانيا . واهتم زعماء السوازى باستطلاع حقيقة الأمر ، فتوجه بعضهم إلى القنصلية البريطانية يستفسر هل منقاً هزم البريطانيون أمام البوير ؟ وهل سيتقدم الألمان لمساعدة العسكرية البوير ؟ وقد حرص المسئولون بالقنصلية البريطانية على أن يقنعوا زعماء السوازى بأن دخول جيمسون إلى جمهورية جنوب أفريقيا كان على مسئوليته الخاصة ، وبالتالى فإن المعركة كانت معركته ، لا معركة ملكة بريطانيا العظمى ، وأن المندوب السامى قام بمساعدة حكومة الرئيس كروجر فى الاتفاقات التى تمت لتسوية المسألة بينه وبين الاوتلاندرز . وحرص المسئولون البريطانيون على المحافظة على ثقة السوازى فى قوتهم ، وعلى ما يدعونه من سيادة على جنوب أفريقيا (١) .

وقد أدى فشل غارة جيمسون وما نشره البوير فى سوازيلاند من تفاخر إنتصارهم عليها ، وقولهم بأن ستمائة منهم نجحوا فى تدمير قوة بريطانية قوامها ثمانمائة رجل ، بالإضافة إلى رفض البريطانيين لطلباتهم فى ذات الوقت إلى إصابة زعماء السوازى بالاحباط .

وقد طالب رازبون بالحصول على معلومات صحيحة عن الأحداث التى واكبت غارة جيمسون ، بغية تعديل نظرة السوازى إلى البريطانيين باعتبارهم مهزومين مقهورين (٢) . وأكد القنصل أيضاً بأنه ينبغى تعميق الفهم لدى السوازى بأن تأييدهم المخلص لإدارة حكومة جمهورية جنوب

---

(١) C.O. 877, 45, 2611, Enclosure in No. 141, British Consul, Swaziland, to H.C., February 18, 1986.

(٢) Ibid.' No. 181, Telegram from the Pretoria, January 6, 1896.

بريمرز دورب هى العاصمة السوازية حالياً .

أفريقيا فى بلادهم ، ومحافظتهم على الحياد التام تجاه الأحداث التى تقع خارج حدودها هو الضمان الأكيد لمصالحهم العظمى (١) .

وبهذا لم تساعد الظروف ملك السوازى على الاستفادة من الصراع بين عنصرى البيض للتخلص من حكم البوير بالاستعانة بالبريطانيين . وفشل السوازى فى محاولتهم تغليب جانب المصلحة العليا لدى البريطانيين على جانب الوحدة الأيديولوجية التى تجمع المستعمرين من عنصرى البيض معاً .

٢ ـ المتابيلى والماشونا :

إذا كنا قد استعرضنا موقف السوازى فى شرق الترنسفال من الصراع الذى سببته غارة جيمسون بين عنصرى البيض فى جنوب أفريقيا من انجلترا وأفريكانرز ، فإن استعراضنا لموقف قبائل روديسيا ليس مقطوع الصلة عما سبق . ذلك أن شركة جنوب أفريقيا البريطانية ، التى دبر مؤسسها سيسل رودس الغارة على الترنسفال ، وعهد بقيادتها لصديقه د. جيمسون ، هى التى كانت تتولى الحكم فى متابيليلاند وماشونالاند أو روديسيا ، وهى التى اتهمت بتحريض السوازى فى شرق الترنسفال على الثورة على حكومتها (٢) .

وقد ذكرنا فيما سبق أيضاً أن روديسيا بقبيلتيها الكبيرتين قد دانت لحكم الشركة بعد أن حملت وأسقطت مقاومة ملكها لوبنجولا . ومع هذا الضعف الذى أصبح عليه أفارقة روديسيا ، ومع تردى أحوالهم السياسية والاقتصادية فى ظل حكم الشركة وسياستها الاستيطانية فإن الغارة لم تكن بالحدث الذى يمكن أن يمر بهم دون أن يلفت أنظارهم ويحرك فيهم كوامن التمرد ضد الاستبداد الاستيطانى الأبيض .

---

(١) Ibid., British Consul, Swaziland to Mr. Rathbone, January 22, 1876.

(٢) راجع ماسبق فى ص ٦ و ١٦ ٢١ و ٢٢ من هذا البحث ، وأنظر أيضاً . :

C.O.O. 877, 45‹ 4611‹ No. 176, H.C. to Mr. Chamberlain, February 8, 1876.

وقد كانت الظروف مواتية الثورة فى بتشوانالاند أكبر منها فى سوازيلاند لعدة أسباب أهمها : أن غياب قوة كبيرة من جنود الشركة عن روديسيا بسبب مشركتهم فى الغارة على الترنسفال تحت قيادة قائدهم د. جيمسون أغرى الأفارقة بالبيض ؛ ومن ناحية أخرى فقد كان الأفارقة يتميزون غيظاً من حكم الشركة ، ويتحينون الفرصة للانتقام منها جزاءاً وفاقاً لخديعتها لهم وغدرها بالملك لوبنجولا ، بينما لم تكن الفرصة سانحة الترنسفال للتخلص من الملك بونو ملك السوازى ؛ الذى ضمت بلاده فقط فى عام ١٨٩٤ (١) .

ومن ناحية أخرى كانت هناك ظروف تحول دون التمكين لفكرة الثورة من أن تستشرى بين الوطنيين . ومن ذلك استمرار الانقسام بين قبيلتى المتابيلى والماشونا (٢) ، ولعبت الشركة على حبليها لتستمر سيطرتها عليهما معاً ، هذا بالطبع إلى جانب التفكك الذى أعقب إستقاط الملكية . ومع هذا فقد كان المتابيلى مؤهلين للثورة أكبر من الماشونا لأنهم كانوا أصحاب السلطة والصولجان اللذين استولى عليهما البيض . ومن ثم اجتمع عدد من قادة بطونهم القبلية فى تلال الماتوبو Matopo (٣) قرب مزرعة أوشر Osher ، وعلم بأن الهدف من الاجتماع هو الإعداد الإغارة على بولا وايو Bulayayo مقر ملكهم السابق لوبنجولا ، التى صارت واقعة تحت رحمة وسيطرة مستوطنى الشركة . وعلى الفور دعيت الشرطة إلى مراقبة زعماء المنابيلى والاستعداد لأى حادث مفاجىء يبيتون لتنفيذه (٤) .

---

(١) C.O. 877, 45, Encqosure 5 in Nu. 208, from Administratur, Saqisbury to Charter Co., Cape Town, February 13, 1876, Subject : Matabele Alleged to be Massing near BuMawayo.

(٢) كان هذا الانقسام أحد الأسباب الرئيسية لضعف الحركة الوطنية فى روديسيا ، وساهم فى الا نقسام المعروف بين حزبى روبرت موجابى وجوشوانكومو فى سبعينات وثمانينات القرن العشرين ، فأولهما من الماشونا وثانيهما من المتابيلى .

(٣) وهى التى دفن بها سيسل رودس فيما بعد .

(٤) C.O. 877, 45, Op. Cit., Enclosure 5 in No. 208 ; Ibid., No. 258, H.C. Wto Mr. Chamberlain, Affril 3, 1876, No. 3.

وقد أخذ الموقف يزداد تردياً فى روودسيا شيئاً فشيئاً ، حتى إنه لم يأت مارس من عام ١٨٩٦ حتى كان المتابيلى قد حملوا أسلحتهم ، وبدأوا يشنون الغارات على المستوطنين البيض . وأسرع المندوب السامى البريطانى فى كيب تاون يرسل قوة قوامها خمسمائة جندى إلى هناك بغية العمل على وقف هجمات المتابيلى (٥) . وتبدت الأيديولوجية البيضاء جلية حين عرض كروجر على المندوب السامى البريطانى تقديم مساعدة عسكرية للقوات البريطانية وقوات شركة جنوب أفريقيا البريطانية فى متابيليلاند (١) . وفى ذات الوقت تبدت محاولة وزير المستعمرات البريطانى تشمبرلين للمحافظة على هيبة بلاده ، وقوة شكيمتها ، وسطوة مستوطنيها ومستعمراتهم ، حين رفض بأدب جم عرض المساعدة العسكرية الترنسفالية (٢) . وختاماً تبدت روح الثورة الأفريقية ضد البيض حين انضم الماشونا إلى المتابيلى فى الثورة متناسين — إلى حين — خلافاتهم القبلية .

— البتشسوانا :

كان موقف البتشوانا محدداً سلفاً من الأحداث وصناعها البيض . فقبائل البتشوانا كانت تعانى قبل أن تخضع للحكم البريطانى من انقسامات أدت بها إلى صراعات قبلية مريرة ، كما كانت معرضة لهجمات قبائل المتابيلى من الشمال ، وبوير الترنسفال من الشرق . وقد انتهز البوير فرصة صراعاتهم هذه وناصروا بعض الزعماء ضد البعض الآخر ، مقابل الاستحواذ على أجزاء من أراضى أنصارهم . إلا أن بريطانيا أرسلت حملة قادها سير تشارلز واوين إلى المنطقة فى عام ١٨٨٥ ، فخلصت البتشوانا من الاحتلال البويرى لأجزاء من بلادهم . وبهذا كان فى أعناقهم دين البريطانيين (٣) .

---

(١) راجع ماسبق ذكره عند الحديث عن الايديولوجية البيضاء .

(٢) C.O. 879, 45, No· 261, Mr· Chamberlain to H.C., April 6, 1876, No·3.

(٣) Walher, Eric A. : The Cambridge Histury of the British Empire, Vol. 8, South Africa, pp. 507, 523.

وقد حل البريطانيون مشكلة النزاعات القبلية بين بطون وزعماء البتشوانا بتقسيم بلادهم إلى جزئين مستعمرة شمالية ومحمية جنوبية ، ثم أدمجت المحمية فى مستعمرة رأس الرجاء الصالح فى عام ١٨٩٥ ، وأعطت شريطاً من الأرض البتشوانية لشركة جنوب أفريقيا البريطانية ، التى عينت لإدارته د. ليندر ستار جيمسون ، قائد الغارة على الترنسفال ، ثم عاد المناوب السامى وعزله فى أعقابها ، وعين بدلا منه فرانسيس جيمس نيوتن F. J. Newton مندوباً مقيماً Resident Commisioners . وكانت هذه المنطقة الخاضعة للشركة هى ذاتها المنطقة التى كان يحتلها البوير من قبل(١) . وقد سجل ثلاثة من زعماء البتشوانا ، هم خاما Khama وستشيلى Sechele وباثوين Bathoen معارضتهم للخضوع لحكم شركة رودس ، حتى لا يئولوا إلى مصير ملك المتابيلى لوبنجولا (٢) .

ثم عملت بريطانيا القانون والعرف الوطنى لدى كل قبيلة ، وفصلتها عن الأخريات ، إمعاناً فى تجزئة المنطقة لتسهيل السيطرة عليها . وهذا كانت المباشر ضد التحرشات البويرية المستمرة بفعل تقسيم الحدود بين الترنسفال وبتشوانا لاند بعد حملة وارين فى ١٨٨٥ . فقد اصطنعت هذه الحدود اصطناعاً خالف الأوضاع السابقة ، ولم يراع مصالح القبائل الوطنية الأفريقية . وكانت القبائل الخاضعة للحكم البريطانى تمتد بطونها وعشائرها إلى داخل الحدود الترنسفالية ، لترعى ماشيتها ما نبت هناك من كلأ ، على نحو ما درجت قبل عهد الاستعمار ، إلا أنها فى ظل هذا العهد صارت عرضة للمصادرة البويرية لها . ومن ثم كان العداء بين البتشوانا والبوير تاريخياً واقتصادياً معاً(٣).

---

(١) C.O. 879. 45, Enclosure 3, in No. 115, Notice of H.C. No. 2 of 1876, January 9, 1876.

(٢) Flint, John : Cecil Rhodes, London, 1776, P. 186.

(٣) C.O. 879, 45, No. 204, Telegram from Resident Commissioner, Mafeking to H.C. Pretoria, January 7, 1896.

بهذا كان البتشوانا -- بداية — عوناً للبريطانيين ضد البوير فى كل أزمة . وقد سبق أن أشرنا(١) إلى شكوى كروجر من دخول البتشوانا إلى الترنسفال ضمن قوة جيسمون ، وكيف أنكر المندوب السامى ذلك من فوره . وبغض النظر عن حقيقة هذا الأمر فإنه يقدم مؤشراً قوياً لتوقع البوير لمساهمة البتشوانا فى كل مجهود حربى ضدهم(٢) . وقد دعم هذا التوقع كون الغارة اتخذات أرض البتشوانا منطلقاً لها ، وكون مافيكنج هى نقطة التجهيز للغارة ، وقد رصد البوير تجمعات كثيفة فيها جمعت بين البيض والسود فى آن واحد . وقد كان شائعاً أن يستخدم البيض السود فى التحركات العسكرية للمعاونة فى غير المهام القتالية(٣) وواضح من مجريات الأحداث بعد الغارة أن البتشوانا لم يشتركوا فيها اشتراكاً مباشراً أو مؤثراً على الصدام العسكرى بين جيسمون والبوير . ومع هذا فإن بعض زعماء البتشوانا أحسوا بأن شيئاً ما يلوح فى الأفق ، فاتخذوا إجراءات سريعة لتعبئة مقاتليهم ، تحسباً لأى ظرف طارئ ، وتحرقاً لمواجهة البوير فى ظل الحماية البريطانية المتوقعة إبان الصدام(٤) .

وعندما بدا واضحاً أن غارة جيسمون قد ألت إلى فشل ذريع اجتهد المندوب السامى البريطانى فى جنوب أفريقيا سير هيركليز روبنسون فى دعوة زعماء البتشوانا إلى ضبط النفس وعدم محاولة دخول الترنسفال وراء ماشيتهم ، حتى لا يثيروا البوير فى وقت تضطرب فيه مشاعرهم بمزيج من الغضب والفخر بعد هزيمتهم لجيسمون(٥) . وبهذا لم تتح الفرصة للبتشوانا للتنفيس

---

(١) راجع ص ١٢ من هذه ورقة .

(٢) C.O. 879. 45, No. 46, Telegram from Acting State President, Bloemfontein to H.C. Cape Town, January 1, 1896.

(٣) Ib d.· No· 86, Telegram from Acting State President, Preturia, to H.C. Cape Town, January 2, 1876.

(٤) Ibid., No. 77, from H.M.A., Preturia, to H:C., Cape Town, January 2, 1876.

(٥) Ibid., No. 205, Telegram from H·C., WPretoria, to Resident Commissioner, Mafcking, January 7, 1896, No. 2.

عن أحقادهم التاريخية تجاه البوير ، مستغلين فرصة صراع أوشك أن ينشب بينهم وبين البريطانيين . وقد ظلت نيران هذه الأحقاد كانت فى صدور البتشوانا حتى واتتها رياح مواتية إبان حرب البوير فاضطرمت فى ظل غطاء عسكرى قوى هو الجيش البريطانى . فما كان البتشوانا يستطيعون أن يواجهوا أسلحة البوير الحديثة برماحهم أو بنادقهم التقليدية العتيقة التى أهداها إليهم البريطانيون .

الخاتمـــة

كانت غارة جيسمون على جمهورية جنوب أفريقيا عملا عسكرياً داخلا فى نطاق الصراع المستمر بين المستوطنين البيض بعنصريهم الرئيسيين فى جنوب أفريقيا ؛ وهما البوير والبريطانيون . ولقد حرص البيض على عدم توريط الأفارقة فى صراعاتهم باعتبارها أموراً تهم الرجال البيض وحدهم . وكان هدفهم من ذلك هو البعد بالأفارقة السود عن الوقوف موقف العداء من البيض لئلا يدرجوا على سفك « الدماء الزرقاء » ، ويكون هذا مقدمة لمتاعب متلاحقة للوجود الأبيض فى الجنوب الأفريقى المبتلى به .

بيد أنه إذا كان العنصريون البيض من بريطانيين وأفريكانريين قد فرضوا نظمهم العنصرية على المنطقة ، ونجحوا فى تحقيق العزل العنصرى ، وغرسوا الانقسامات بين ناس الجنوب على أساس لون بشرة كل منهم ، فإن الحدث التاريخى لم يكن لحسن الحظ عنصرياً . فلم تقف تأثيرات غارة جيسمون عند حدود المعازل العنصرية أو الحدود السياسية المصطنعة ، بل لقد تخطت تأثيراتها هذه العقبات الهشة ، رغم ما دججت به من أسلاك شائكة ونظريات متعالية ، جحدت بشرية البشر ، ووضعت عنهم شرفاً رفعهم الله إليه .

لقد استجاب الأفارقة للحدث التاريخى موضوع الدراسة استجابة فورية . ورغم أن وجهة عداء كل منهم قد اختلفت فإنهم جميعاً اشتركوا فى رغبة واحدة . فبعضهم أراد أن يستعين بالبرنطانيين ضد البوير ، بعضهم الآخر انتهز فرصة هزيمة البريطانيين لكى يثور بهم ويتخلص من تسلطهم الاستعمارى إلا أن هؤلاء وأولئك كانوا أعداءاً للوجود الأبيض ، يسعون للتخلص من قيوده .

وإذا تركنا قد أتينا على مواقف القبائل الثلاث التى اخترناها للدراسة مفيدة ، وإن وضعنا ثلاثتها فى سلة واحدة أدعى إلى إدراك المفارقات بينها . فأما السوازى الخاضعون للحماية الترنسفالية فلم تسعفهم الأحداث للحصول على تأييد البريطانيين للثورة التى دبروها للتخلص من هذه الحماية . وكذا لم تسعف الأحداث البتشوانا الخاضعين للحماية البريطانية لمواجهة البوير أعدائهم التقليديين ونلاحظ هنا أن السوازى فى شرقى الترنسفال والبتشوانا فى غربيها وحد بينهما العداء للبوير . رغم اختلاف جنس المستعمر الذى خضعوا له . أما المتابيلى فإن وضعهم كان فريداً ، فهم كانوا يخضعون لشركة جنوب أفريقيا البريطانية ، أى لاستعمار بريطانى غير مباشر . ولقد كان لتردى أوضاعهم السياسية والاقتصادية فى ظل حكم الشركة أثره فى عنف استجابة زعمائهم لغارة جيمسون ، فثاروا بالمستوطنين البيض وموظفى الشركة ، بعد أن تبين لهم أن انتظارهم لتردى الأوضاع بين البوير والبريطانيين سيطول . وإن كانت ثورتهم قد بدأت بعد الغارة بنحو ثلاثة أشهر ، فإنها كانت من آثارها ومضاعفاتها ، بل إن الإعداد لها والتربيب لتفجيرها بدأ فى اجتماع بمزرعة أوشر فى تلال الماتوبو أيام الغارة . وسرعان ما تلاشى الإنقسام الحاد بين المتابيلى والماشونا ، فقد صهرت الثورة ضد الشركة شباب القبيلتين وجمع بينهم العداء للرجل الأبيض الدخيل .

. . . . . .

وإذا كان مؤرخو جنوب أفريقيا يعتبرون تأسيس حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى عام ١٩١٢ البداية الحقيقية للحركة الوطنية فى الجنوب الأفريقى ، فإن ما أثبتته هذه الورقة من أن الرغبة فى الثورة بالبيض بعنصريهم جمعت ثلاثاً من القبائل الأفريقية ، فى وقت واحد ، رغم بعد الشقة بين إحداها والآخرين ، ورغم ضعف الاتصالات فيما بينها ، ورغم جهود إسفين الاستيطان الأبيض للفصل بينها ، لدليل على أن وحدة الفكر والشعور الوطنى الأفريقى ، والإلتقاء الثورى الأفريقى ، قد سبقا عام ١٩١٢ فى إرهاصات الطرف عن عنصر المستعمر ، وانصهرت فى بوتقة العداء للبيض .

مصادر الدراسة

أولا : وثائق غير منشورة :

اعتمدت الدراسة على مجموعة كبيرة من وثائق وزارة المستعمرات البريطانية حول غارة جيمسون والمجموعة تحمل رقم

وهى تتضمن المراسلات الخاصة بالغارة بين وزير المستعمرات والمندوب السامى البريطانى — ومراسلات هذا الأخير مع ممثلى بريطانيا وقناصلها لدى الترنسفال وأورانج وسوازيلاند وشركة جنوب أفريقيا البريطانية فى روديسيا ومع بتشوانا لاند ، فضلا عن مقتطفات من صحف الجنوب الأفريقى فى مستعمرة الرأس فى الترنسفال .

1.—C.O. 379, 45, Enclosure 3 in No. 157, Mayor of Pieter-maritzbrug to Governor, Natal, January 29, 1896.

2.—Extract from the cape times, January 20, 1896.

3.—Enclosure to No. 313, Extraordinary Government Gazette of the South African Republic, Vol. XVI, Pretoria.

4.—No. 362, Telegram from Acting State President, Bloem-fontein, to H.C., Pretoria, January 13, 1896.

5.—No. 16, Telegram from H.M·A., Pretoria, to H.C. Cape Town, Dec. 30, 1895.

6.—No. 101, Siv Walter Hely-Hutchimson, Governor of Natal to H.C. confidental, No. 2, Pieter-maritzburg, Natal, January, 10, 1896·

7.—Enclosure 11 in No. 101, Sir W.H.H·, Gov. of Natal, to H.C., telegram, January 7, 1896.

8.—Enclosure 12 in No. 101, Ministers to Sir W.H.H., Governor of Natal to H·C., Minute No· 5, January 8, 1896.

9.—Telegram from Resident commissioner, Mefeking, to H. C., Pretoria, January 10, 1896.

10.—No. 86, Telegram from Acting State President, Pretoria, to H.C. Cape Town(January 2, 1896.

11.—Enclosure in No. 159. The Pretoria Press, January 14, 1896, Extract, The Political Stuation, "Three Treacherous Attacks", "The Last The Worst".

12.—Enclosure I in No. 135, From Mr. E. J. Newton, Mafeking to H.C.

13.—Telegram from General Officer Commanding, Cape Town, to H.C., Pretoria, January 6, 1896.

14.—No· 51, Telegram from H.M.A., Pretoria to H.C. Cape Town, No. 1, January 1, 1896.

15.—No. 205, Telegram from H.C. Pretoria to Resident Commissioner, Mafeking, Januar 7, 1896, No. 2.

16.—No. 189, Telegram from Governor, Natal, to H.C., Pretoria, January 6, 1896, No. 2.

17.—Enclosure 14 in No. 101, GovernorWof Natal, to H.C. confidental, No. 1, Government House, Pietermaritzburg. January 8, 1896.

18.—Enclosure 16 in No. 101, H·C. to Governor of Natal, January 9, 1896, Translation.

19.—No. 130, Sir H. Robinson the H.C., yo Mr. Chamberlain, the Sec. of State, Feb. 17, 1896.

20.—No. 258, Sir H.R., The H(C., to Mr. Chamberlain. April, 1896, No. 3.

21.—No. 181, Telegram from Governor, Natal to the H.C., Pretoria, January 6, 1896, No. 2.

22.—Telegram from British Consul, Bremersodrop, to H.C. Pretoria January 6, 1896.

23.—Extract from the Cape Town, January 22, 1896.

24.—Enclosure in No. 206, British Consul, Swaziland, to H.C., February 4, 1896.

25.—No. 176, H·C. to Mr. Chamberlain, Cape Town, February 8, 1896.

26.—Extract from "The Star", a newspaper in Johanesburg, January 11, 1896. ..

27.—T.B. Rathbone, Acting Agent Swazi Kingdom, to The British Consul, Zomboti, January 18, 1896.

28.—2611, Enclosure in No. 141, British Consul, Swaziland to H.C.. Feb. 18, 1896.

29.—Telegram from British Consul. Bremersdrop, to H.C. Pretoria, January 6, 1896.

30.—British Consul' Swaziland, to Mr. Rathbone, Acting Agent, January 22, 1896.

31.—4611, No· 176, Sir H. Robinson to Mr. Chamberlain, Cape Town, Feb. 8, 1896.

32.—Enclosure 5, No. 208, Fram Administrator, Salisbury, to the Chaster Co., Cape Town, February 13, 1896, Subject : Metabele Alleged to be massing near BuMawayo.

33.—No. 258' H.C· to Mr. Chamberlain. April 3, 1896, No. 3.

34.—No· 261, Mr. Chamberlain to WSir H. Robinsen, April 6, 1896. No. 3.

35.—Enclosure 3, in No. 115, H.C.'s Notice, No. 2, of 1896, January 9, 1896.

36.—No. 46, Telegram from Acting State President, Bloemfontein, to H.C., Cape Town, January 1, 1896.

37.—No· 77, from H·M·A., Pretoria, to H.C., Cape Town, January 2, 1896.

38.—Enclosure in No. 10, Railways, Customs and Trade.

ثانياً : مراجع باللغة الإنجليزية :

1.—Flint, Jahn, Cecil Rhodes, London, 1976.

2.—Paterson, Shella : The Last trek, A study of the Boer People and The Afriknar Nation, London, 1957.

3.—Walher, Eric A. : The Cambr dge History of the British Empite, Vol. 8, South Africa.